سينما

«رجال» **بيلفو** عن حرب الجزائر
بداية واعدة وتتمّة باردة

يستعيد البلجيكي لوكا بيلفو حرب الجزائر من وجهة نظر فرنسية، في فيلم توهم بدايته بتشويقٍ كبير، لكنّ اللاحق يغرق في إيقاع بارد ومملّ

باريس ـ **ندى الأزهري**

حفلٌ عائليّ يقتحمه برنار (جيرار دوباردييو)، ليُقدّم هدية إلى المحتفى بها. مَنْ يقلْ اجتماعاً عائلياً، يتوقّع بهجة وذكريات، أو خلافات وصراعات، و«همز ولمز». الدخول المفاجئ للعملاق، وتساؤلاته عن أمواتٍ ليسوا هنا، وعن حربٍ لم تُسمَّ، وعن أشياء أخرى، وما سببّه من صدمة غير سارة للحضور، هذا كلّه كفيلٌ بتزويد الفيلم، من بدايته، بأجواء مشحونة، تُشعِل فضولاً، وتُهيّئ لتلقٍّ. لكنّ ذلك يخبو سريعاً، وبدل الإثارة يحلّ شيءٌ من لامبالاةٍ، وشعورٍ بانفصال عمّا يدور على الشاشة. «رجالٌ»، للبلجيكي لُوكا بيلفو، يحمل شعار «الاختيار الرسمي لمهرجان كانّ 2020»، يُعرض حالياً في الصالات الفرنسية. فيلمٌ فرنسي، مبنيٌ على رواية بالعنوان نفسه (2009) للوران موفينييه، عن حرب الجزائر من وجهة نظر مُشاركين فيها، بعد 40 عاماً على انتهائها. تَناولُ حرب الجزائر من وجهة نظر فرنسية نادرٌ سينمائياً، فالموضوع لا يزال يُثير ارتباكاً، ويعكس حساسيات متبادلة بين الطرفين، وعدم ارتياح عميق في كلّ واحد منهما، ما يجعل تحقيق فيلمٍ يتناول أي جانب من جوانب هذه الحرب، عاملَ جذبٍ بحدّ ذاته. وإذا أُضيف عليه اسم مخرج معروف وممثلين كبار، تبدو العناصر حينها كأنّها اكتملت لتحقيق فيلمٍ على مستوى الحدث، شكلاً ومضموناً.

هذا لم يتحقّق تماماً. بعد مقدّمةٍ ذات إيقاع بارد، والبرود غير البطء، رغم المشهد المشحون بأسرار، الذي يَعِدُ السرد بكشفها تدريجياً، يدخل «رجالٌ» في رواح ومجيء، لا ينتهيان، بين ماضٍ وحاضر، مُسترجعاً أحداثاً وذكريات، بعضُها حاصلٌ في الحرب، وبعضها قبلها وبعدها. تتداخل مواقف، يلفّها غموضٌ وتشويش. بينما تسير المَشاهد، زمنياً، في خطٍ متوازٍ بين الجنود في الجزائر (الماضي)، مع تركيز على برنار وقريبه رابو (جان. بيار دارّوسّان)، ومقتطفات من حياة الشخصيتين والأسرة (الحاضر)، يعتمد السردُ فيها على إلقاءٍ (Voix off) بصوت الشخصية، يشرح. بنبرة مسرحية مُحمّلة بشجن. شيئاً من مشاعرها وخباياها.

في المشهد الأول، أثناء احتفال العائلة الكبيرة بميلاد صولانج (كاترين فُرو)، ينفر الجميع من دخول برنار عليهم، وهو يُقدّم لأخته الهدية الثمينة. إنّه شبه مُتشرّد، مُهمّش، يعيش على إعاناتهم، فمن أين له ما اشترى؟ يحصل تلاسنٌ يُنبئ عن بغضٍ، مُستتر للبعض وصريح للبعض الآخر. يُسأل عن مكان الموتى، هؤلاء الذين قضوا في الحرب؛ وعن تخلّي فرنسا عن الجزائريين الذين عملوا معها. يُهين سعيد (فريد لاربي)، الحاضر في الحفل، فهو لا يعتبره عربياً لأنّه أتى مع الفرنسيين، ويعتدي على عائلته.

تحيل عودة إلى الوراء (فلاش باك) إلى شخصية برنار شاباً (يُوان زيمّر، في أداءٍ لافت)، وقريبه رابو (إدوار سولْبيس)، ويومياتهما مع أفراد الكتيبة العسكرية المعزولة في الجبال الجزائرية، في حربٍ دُفعوا إليها. بعضهم آمن بها، لكنّ بعضاً آخر أُجبر على خوضها، بينما كان بعضٌ ثالث لامُبالياً، مُعتبراً إياها مجرّد محطة لخدمة فرنسا. ما اهتمّ به السرد لم يكن الحرب نفسها، بل تأثيرها النفسي على الأفراد، مُعتمداً لذلك على أحداثٍ، تُبرز الوحشية والفظاعات الفرنسية، وما يقابلها أحياناً من ردّ فعل مُماثل لدى المُقاتلين المحليين (مشهد تشويه جثة الطبيب الفرنسي). كذلك، كيفية تمضية الجنود أوقاتهم في إجازات قصيرة، بين سهر ولهو وفتيات، وتنافسٍ على حبّ وحماقاتٍ، كنوع من التنفيس، بعد ما تشهده أيامهم من قسوة. عدم قدرة الشخصيات، برنار مثلاً، على البوح، وانغلاقها على آلامها، واحتفاظها بمشاعرها لنفسها غالباً، لا سيما أمام قسوة عسكرية فرنسية تجاه القرويين المدنيين، تركتْ آثاراً عليها لم تُمْحَ بعد العودة، أو على العكس، مُحيت تماماً عن سابق تصميم. برنار انعزل عن محيطه، وعاش مُهمّشاً على ذكرياتٍ مؤلمة لم يحكِها لأحدٍ، فيما قريبه رابو اعتبرها مرحلةً وانتهت، وقرّر. رغماً عنه. محوها من ذاكرته، والانغماس في حياة مجتمعه القرويّ.

لم يتعمّق «رجالٌ» في رسم هاتين الشخصيتين، بل كَثّف اهتمامه على مرحلة الشباب في الجزائر، وكيفية عيشهما الحرب، رغم تقليديةٍ وافتعال، أحياناً، لما أظهره منها، أداءً وديكوراً ومواقف. بينما لو تمّ التركيز على ما بعد الحرب، وعلى تأثيرها المتفاوت على الشخصيتين، لبدا الفيلم أكثر تجديداً. هناك برودٌ طاغٍ على المَشاهد، جعل لقطاتٍ عدّة تتطلّب تعاطفاً وتضامناً واستغراقاً، كمشهد البداية، الذي يبدو مُفتعلاً وبعيداً عن الأثر، دقائق قليلة بعده. قصص الجنود وحياتهم متوقّعة، كالوحشية مع السكّان، ومحاولة اغتصاب صبية جزائرية، وقتل ولد صغير، هذا كلّه بدا كأنّه شوهد عشرات المرات، في أسلوب تقديمها.

لم يتطرّق الفيلم أيضاً، وبوضوح، إلى علاقة الشاب برنار بالفتاة الفرنسية الغنية، لا سيما بعد عودتهما من الجزائر. كان يُمكن معالجتها على نحوٍ أكثر قرباً منهما، للشعور بعواطفهما، وتأثير اختلافهما الطبقي، وما تركته الحرب من آثار على نفسيّتهما، وبالتالي على علاقتهما بعد العودة. كلّ ذلك ظلّ مُشوّشاً وغير واضح. وبقيت الأحداث بعيدة عنْ أيّ تأثيرٍ عاطفي، بسبب المبالغة في اللجوء إلى صوتٍ الراوي، الذي يشرح دوافع الشخصية وأحاسيسها الدفينة.

بدا «رجالٌ» كأنّه يُلقي، سينمائياً، تلك الرواية المأخوذ منها، بدلاً من إيصالها إلى المُشاهد عبر الصورة واللغة السينمائيتين. الأجدى ربما قراءتها، وتخيّل أبطالها وأماكنهم، خصوصاً أنّ الديكور لم يساعد على إثارة الإحساس بالمكان، لا في الثكنة العسكرية، ولا في بيوت الجزائريين القرويين، ولا في الطبيعة (صُوِّر الفيلم في المغرب)، فبدا كلّ شيءٍ مُركّباً ومُفتعلاً. حتّى الممثلين، كانوا أكبر من أدوارهم.

> إيقاع سينمائي بارد رغم بداية مشحونة بأسرارٍ مُشوّقة

جيرار دوباردييو: قامة كبيرة في فيلم مرتبك
(تيزيانا فابي/ فرانس برس)

وثائقيّ لـ **فلوران بودان** عن جِيمْس
استسهال بصريّ في تقرير عادي

أشرف الحساني

في الوثائقيّ Gims: On The Record (نتفليكس، 2020)، للصحافي والمُخرج الفرنسي فلوران بودان، تغيب الاشتغالات الجماليّة، التي تُبرّر سيرة الرابور جيمس، أحد أكثر صنّاع فنّ الـ«راب» أهمية في العالم. بحكم أبعاده الحفرية، يغوص الوثائقيّ في أحوال الصناعة، تفكيكاً وأرشفة وتخييلاً، مقارنة بالروائي، الذي وإنْ يرُم التوثيق، يبقَ خاضعاً لنسقٍ سينمائي مُحدّد، يستند إلى فعل التخييل. هذا أمرٌ لا يفطن له بودان، لا توثيقاً ولا تخييلاً. الجري وراء يوميات جيمس، في تدريبه وسهراته وحياته الخاصّة مع زوجته وأولاده، لا يصنع وثائقياً حقيقياً، يطرح أسئلة عن الريبرتوار الغنائي، ويبحث عن حقائق وأحداث ووقائع، تصوغ أفق تجربته غنائياً. هذا يُفسّر قبول «نتفليكس» بإنتاج الفيلم، والتي لا تقوى على إنتاج أفلام سِيَر ذاتية قويّة، تسعى إلى حقائق تُقدّمها إلى المُشاهد، أو تجعل سيرة مُغنٍّ أو فنان أو سينمائي مُختبراً للصورة الوثائقية، حيث يرتفع منسوب التحليل والبحث والتقصّي إلى التخييل. يرصد الفيلم، بصرياً، في 96 دقيقة، يوميات المغنّي أثناء تحضيره حفلةً، عام 2019. هذا ليس دافعاً إلى إنجاز وثائقيّ لـ«نتفليكس»، عن نجم «راب» صاعد، ما أثّر سلباً على خصوصية الصورة الوثائقية، بجعلها تبدو كأنّها تنقل تقارير يومية عادية، تتعلّق بالمُغنّي، وبعلاقته بفريق العمل.

هناك جانبٌ مهمّ لم يُركّز عليه بودان: عشق البطل وبراعته في فنّ الرسم. هذه الخصوصيات الذاتية يُريدها المُشاهد، لا ما يحدث في كواليس الحفلات، من اعتراف وتشجيعٍ وعناق، بل أشياء وقصصاً، يُدهشه وقعها ومعرفتها وعيشها في صورة متخيّلة، رغم أنّ غالبيّة ضيوف الفيلم أفرادٌ من عائلته، يتردّد في خطابهم بُعدٌ تمجيدي لشخصه، ولحرصه على التميّز والنجاح في عائلة فقيرة، عانت تفكّكاً وجدانياً وأسرياً في فرنسا وخارجها.

لم يصدّق غاندي جونا (Gims)، المولود عام 1986 في كينشاسا (عاصمة جمهورية الكونغو الديمقراطية)، أنّه سيغدو، في الـ20 عاماً الأخيرة، أكثر مغنٍّي الـ«راب» مُشاهدة واستماعاً في فرنسا. هذه حقيقة لا يسهل قبولها، نظراً إلى القاع الذي منه خرج جيمس، قبل اكتسابه ثقافةً موسومة عبر تاريخها، وسبّاقة في العالم. يطرح الفيلم أذواقاً وأساليب وأمزجة وأغنياتٍ وأفلاماً ورقصاتٍ ذات صلة بما يحدث في الزمن المعاصر. فرغم مظاهر تسطيح، أصابتها في الآونة الأخيرة، لا تزال تلك الثقافة تُحافظ على بريقها الفني في ابتكار أساليب ومواضِعَ في فنون الغناء والأداء. عرف فنّ الـ«راب» تبدّلات عدّة، منذ نزوحه من أميركا مع مهاجرين عديدين، إلى أنْ استقرّ في فرنسا، وأضحت له خصوصية محلية. للـ«راب» الفرنسي ميزات وخصائص، وإنْ بدت بعض أغانيه كأنّها بذخ فنيّ، نظراً إلى السياق التاريخي الذي ظهر فيه، مُقارنة ببعض بلدان القارة الافريقية، التي شهد معها الـ«راب» تحوّلات فنيّة وجماليّة، غيّرت المفهوم بشكل كامل، وبدّلت أنماط تلقّيه وأذواقه وأساليبه، وجعلته أقرب إلى ألوان غنائية أخرى. فنانو الـ«راب» لا يشتهرون في بلدانهم الأصلية، إلا بعد هجراتهم إلى دولٍ غربية، كفرنسا وألمانيا وأميركا وبلجيكا، حيث الجسد أكثر حرية في التعبير عن قلقه وهواجسه، كجِيمْس، الذي أمضى فترة طويلة في أحياء باريس، بعد انفصال والديه، لكنّه استطاع مواجهة الواقع المزري، المنتمي إليه اجتماعياً، حتى أصبح. في الأعوام الأخيرة، أحد الفنانين الأجانب الذين خلخلوا واقع الغناء الفرنسي، بأساليبهم ولباسهم وأغانيهم ورؤاهم.

جِيمْس في «ستاد دو فرانس» (28/ 9/ 2019): الظاهر لا المخفيّ (زكريا عبدالكافي/ فرانس برس)

> خصوصيات ذاتية يُريدها المُشاهد لا ما يحدث في الكواليس

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Wicked لجون أم. تشو، تمثيل آنّا مايش (الصورة): إلفابا ساحرة شريرة تحمل ندوب العار الذي لطّخ سُمعة والدتها: جلدُ أخضر، وقوى سحرية. يرفضها الجميع، بمن فيهم والدها الحاكم، لكنّها تتحمّل الإذلال بشجاعة، وتحلم بتطهير كلّ شيء على يدي الساحر أوز. في الوقت نفسه، تُقيم في غرفة واحدة، في الجامعة، مع غاليندا، الساحرة الجميلة والطموحة، التي هي من الشرق.

■ Mystere A Saint-Tropez لنيكولا بنامو، تمثيل كريستيان كلافييه (الصورة) وجيرار دوباردييو: كعادته في كلّ عام، يدعو الملياردير كلود ترانشان وزوجته إليان نجوماً ومشاهير في الفيلا البديعة لهما في سان تروبيز. كلّ شيء يوحي بأنّ الأمور جيّدة، لكنْ، هناك من يشعر بأنّه معرّض للقتل، فينصحه كلود بالاستعانة بأحد أفضل رجال الشرطة في باريس للتحقيق في الموضوع. مغامرات تمزج التشويق البوليسي بالكوميديا.

■ Reminiscence لليزا جوي (الصورة): بسبب تغييرات مناخية، تغمر الأمواج ميامي، فيُكلّف أثرياء عديدون محقّقاً خاصاً يُدعى نِكْ بانّيستر، بالبحث عن «ذكرياتهم وأشيائهم الثمينة». يُغرم بإحدى السيّدات الثريات، لكنّها تختفي فجأة، فيُصاب بالذهول لجهله سبب اختفائها، ويُقرّر البحث عنها، متخلّياً عن المهمّة الأساسية. فجأة، يجد نفسه تائهاً في حلقة زمنية، ويكتشف جوانب من شخصيته، لم يكن يعرفها سابقاً.

■ C’est Magnifique لكلوفيس كورنيّاك إخراجاً وتمثيلاً، مع أليس بول (الصورة): بعد عيشه بعيداً عن مشاكل العالم لفترة طويلة (في مزرعة مع حيوانات مختلفة)، يتغيّر كلّ شيء في حياة بيار (45 عاماً) إثر اختفاء والديه. يكتشف أنّه تمّ تبنّيه، وبات عليه أنْ يتعلّم كيف يعيش في مجتمعٍ حديث لا يعرفه أبداً. هذا دافعٌ له للبحث عن أصوله، ويلتقي آنّا، التي، بفضل إحسانه معها، تساعده في مهمّته هذه. مع تقدّمه في التحقيقات، يبدأ بيار بالتلاشي والانهيار.

■ Sweet Things لألكسندر روكويل، تمثيل لانا روكويل (الصورة): تجهد المراهقة بيلي وشقيقها الصغير نيكو في العثور على مكانٍ لهما في عائلة مختلّة، فالأب سكّير رغم أنّه محبّ، والأم غائبة بشكل شبه دائم. حياتهما متأرجحة بين عدم راحة وعدم فهم. في الصيف، يلتقيان مالِك، الصبي الصغير الباحث عن الحرية، فيُقرّران الهروب معه وعيش مغامرتهما الخاصّة.